

التبيان في تفسير القرآن

(347) في الطغيان، لانه إنما يتركهم ليتوبوا من ذلك ويؤمنوا لكنه بين أنه لا يعاجلهم بالعقاب في الدنيا، وهم مع ذلك لا يراعون بل يترددون في الطغيان. وقيل المعنى نتركهم في الآخرة يتحيرون في جزاء طغيانهم. قوله تعالى: وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره مثله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون (12) آية. أخبرنا الله تعالى في هذه الآية عن قلة صبر الإنسان، إذا ناله الضر دعا ربه على سائر حالاته التي يصيبه ذلك عليها، سواء كان قائماً أو قاعداً إذا أطاقه، أو على جنبه من شدة المرض فيجتهد الدعاء لأن يهب الله له العافية. وليس غرضه بذلك نيل الثواب للآخرة. وإنما غرضه زوال ما هو فيه من الالام، فإذا كشف الله عنه ذلك الضرر، وهب له العافية، مر معرضاً عن شكر ما وهبه له من نعمة عافية فلا يتذكر ما كان فيه من الالام، وصار في الأعراض عن ذلك بمنزلة من لم يدع الله كشف ألمه ولا سأل الله إزالة الضرر عنه الذي كان به. وقوله " كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون " قال أبو علي الجبائي: الشياطين الذين دعوا المسرفين إلى المعاصي واغواهم بها وبترك شكر نعم الله زينوا لهؤلاء المسرفين ما كانوا يعملونه من المعاصي والأعراض عن ذكر نعمه وإداء شكره. والغرض بذلك أنه ينبغي لمن وهب الله له العافية بعد المرض أن يتذكر حسن صنع الله إليه وجزيل نعمه عليه، فيشكره على ذلك ويسأله إدامة ذلك عليه. ونبه بذلك على أنه يجب عليه الصبر عند المرض وترك الجزع عند احتساب الاجر وطلب الثواب في الصبر على ذلك، وأن يعلم أن الله محسن إليه بذلك، وليس بظالم له. وقال الحسن